# عابراً مدينتي

عابراً مدينتي أجرّ على حصاها حُطام ظلّي ،
أقطف من سياج كرمها وردةً ،
أخضّب كفّيّ عطرا ،
الشمس في عيني ألمّ شعاعها ذكرى ،
وإذما أقتربْ ، حلب ،
ألقي للماء يداً ،
وأخرى تحصد اللهب !.

مهد السلالة !،
أسطورة حزن قديم ،
فضاءَ النجوم ، ميدان الشّهبْ ،
ما للكواكب تغفو في غبار الكون ، أرهقها التعب ؟!.
أين هم أطفالك ؟!، كانوا هنا !،
لهم ملعب عند منعطف الطريق ،
حالتْ دونهم بحورٌ ؟!.
أم مضى على آثارهم حقبْ ؟!
انطقي السبب .

أم أمّنا داخت في تخوم الصحارى ، ونامتْ على أطرافها كثبْ ؟!.
كان لها طفل سارت له قفارا ،
غفتْ على هجير ، تلقي له شعارا ،
كان له جمرٌ ، يرسم اللهبْ ،
وطواه الصدى !.
ارتاحت عليه ريحُ السّموم غبارا !.
تنتحب !.

أمّ الطربْ ،
هاك اسمعي أغنيتي
أنا الثملان ، وشمت دمعي على وريقات العنب ،
دفنت في ظلام الليل ينبوع ضوءٍ ،
تركت على الجدران تلافيف الذهب ،
من ألف عام ، أجتثُّ شوكاً ،
أمشي قفاراً من حقبْ !.
أجدّف هرولةً ، أنتضي قفطان الجنائز ، أهزّ النعش ، أضحك في غضب !،
أهذي ، وأبكي !.
مخضّباً في دمي أنتصب !.

أقول ،
يا ربّ !،
هل فطر الوهم قلبي ؟!،
صحوت على بوادٍ يعيد مجدها شغبْ ؟!،
جثوت على أقدامها ،
أسأل الكهّان عن كابوس حلم جميل !،
تلا على شعبٍ ماردٍ رُقىً !..
صدّ الطغاة ،
قال للجلاّد ،
هذا عرشك !،
فاركب حمارك ، وانسحبْ .

حلب ،
نبض ليلٍ طويلٍ ..
يا لؤلؤ الدمع يحمّ في لهبْ !،
رسم البكاء على وجهك شكل الشموع ،
جداولَ حطّت لدى بحر نضبْ ،
شلاّلاً على مدى السغبْ .
مسح الساح عاصفاً ،
استلقى على قبب .
صار صدى رئتي ،
وصوتي ،
لساني انثقب .

حلب ،
هل ما بيننا حب ؟!، والحب تعبْ ،
شيء عجبْ !،
قصيدة شعر ،
رفّ لها عصفور ، هامت سُهبْ !..
مخر السماء ، ألقى على النجم بكاءاً ، واقترب !.
ساق ريحاً ، ركم الجبال ، أجرى الجداول ،
لوى على الجفن دمعةً ،
ولم يحتمل جمراً ، هرَبْ ،
وأنت احتملتِ ،
ارتفعتِ بدراً على سحبْ ،
يغوي كواكب الليل ، يرمي الشهبْ ،

عابراً مدينتي ،
حارةً حارةْ ،
هنا صدح اليمام ،
وطغى الحزن ، غطى ديارا ،
أطير في بساط الريح ، على أزقةٍ هرولةً أثبْ !..
أغمس ريشةً في الليل ، في الغيمِ !.
أنبش مطراً ،
أخطّ الكتب ،
لأرسم قوس قزح على مدينةٍ ثكلى حارةً حارةْ ،
أرمي بسهم النار غارا .

---